﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ٧٢﴾ [يس: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تذليلُ الأنعامِ نعمةٌ عظيمةٌ سوى نِعْمَةِ تَمْليكِها

لمّا كان ملكُ الشَّيء لا يستلزم طواعيَّته للمالك؛ أخبرَ اللهُ تعالى أنَّه قد ذلَّل هذه الأنعام للإنسان؛ لتكون مسخَّرةً له مستفيدًا من منافعِها، فقال سُبحانه: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾: (ذلّ) تدُلُّ تصريفاتُه على خُضوعٍ واستكانةٍ ولينٍ[2]، والذُّلُّ: مصدر الذَّلول، أي: المُنْقاد من الدَّوابِّ، يقال: ذَلَّ يَذِلُّ، ودابَّةٌ ذَلولٌ: بَيِّنَة الذُّلِّ، وذلَّلْتُه تَذليلًا[3]، والذُّلُّ أيضًا: ما كان عن قَهْرٍ، يُقالُ: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا، والذِّلُّ: ما كان بعد تصعُّب وشماس من غير قهرٍ[4]، والذَّليلُ ضدُّ العزيزِ، وهو الذي لا يدفع عن نَفْسِهِ ما يكرهُه، والتَّذليلُ في الآية مراد به: جَعْلُ الشَّيءِ ذليلًا، ومعنى تَذليلِ الأنعامِ: تسخيرُها[5].

2) ﴿رَكُوبُهُمْ﴾: (ركب) تدورُ اشتقاقاتُه على عُلوٍّ شَيءٍ شيئًا[6]، يُقال: رَكِبَ الدابَّة يَرْكَبُ رُكوبًا؛ إذا عَلا عليها، فالرُّكوب هو الفعل، والرَّكوبُ - بِفَتْحِ الرّاءِ - هو المَركوبُ مِثْلُ الحلوبِ، وهو فَعولٌ بمعنى: مفعولٍ، فلذلكَ يُطابقُ موصوفَهُ، يُقالُ: بَعيرٌ رَكوبٌ وناقةٌ حَلوبةٌ، وجمعُه: رَكْبٌ، ورُكْبانٌ، ورُكوبٌ، والرَّكوبُ هنا بمعنى المَرْكوب، أي: الذي يركبونَ كالإبل[7].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 173.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذلَّ).
(3) الخليل، العين: (ذلَّ).
(4) الراغب، المفردات: (ذلَّ).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 69.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ركب).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 483.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من نِعَمِ اللهِ تعالى على عباده تذليلُ الأنعامِ وتسخيرُها لهم

يقول الله سبحانه: وسَخَّرْنا هذه الأنعامَ مِن الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ، وجعَلْناها مَقهورةً مُنقادةً لهم، فلا تمتَنِعُ منهم، فمنها ما يركَبونَ - كالإبِلِ يُسافِرونَ عليها - ومِنْها ما يأكُلونَ مِن لحمِه، وهي الأنعامُ كُلُّها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبةُ الوصلِ في الآية:

تنوُّعُ منَّةِ الله تعالى على العباد في خلقِ الأنعام بتمليكها وتذليلِها لهم

جملة ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ معطوفةٌ بالواو على قوله: (هُم لَها مالِكونَ)، وتقديرُ الكلام: (أولم يَرَوا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعامًا، فذلَّلناها لهم)، فيكونُ الاستفهام التَّقريريُّ أو الإنكاريُّ - على الخلاف في توجيه الاستفهام - داخلًا على جملة: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ كذلك، والضَّمير في ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ يعود إلى الاسم الظّاهر المتقدِّم ﴿أَنْعَٰمًا﴾، فيكون قد فرَّع نعمةَ الملك للأنعام وتذليلها وما فيها من منافع ومشاربَ على خلقِها، وهو المناسبُ للمعنى، ومناسبة الوصل: الامتنان بتذليلِ اللهِ تعالى للأنعامِ كما هو الحال مع تمليكِها لهم.

وعُطِفَت جملةُ (ذلَّلناها) على جملة: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾؛ لِما بينهما من التَّوسُّط بين الكمالَين؛ لاشتراك الجملتين في الخبريَّة، ولِما بينَهُما مِنَ التَّناسب المعنويِّ.

وذهب بعضُ المعربين إلى أنَّ جملةَ: (ذَلَّلناها لَهُم) معطوفةٌ على ﴿خَلَقْنَا لَهُم﴾[2]، وتقدير الكلام: أو لم يروا أنّا ذلَّلناها لهم، فتكون جملة (ذَلَّلناها) خبرًا بـ (أَنَّ).

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 483، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 55، 56.
(2) الصافي، الدول في إعراب القرآن: 12/ 33، وعبد الله علوان وجماعته، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1951.

نكتةُ التَّعبير بلفظ ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾:

خضوعُ الأنعامِ وانقيادُها حاصلٌ بقَهرِ الله تعالى لها وتذليله إيّاها

عبَّر بقوله: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ دون لفظٍ آخرَ؛ للإشعار بخضوعِ الأنعامِ لهم؛ لِما في اللَّفظ من معنى الخضوعِ والانقياد والاستكانة واللّين والسُّهولة؛ لأنَّ الذُّلَّ ضدُّ الصُّعوبة، ولمّا كانَ الذلُّ لا يكون إلّا عن قهرٍ[1]، كان في قولِه تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ إشعارٌ بأنَّ خضوعها وانقيادَها بسلاسةٍ حاصلٌ بقهر الله تَعالى لها وتذليلِه إيّاها، ومعنى تَذْليلِ الأَنْعامِ هو تسهيلُ ترويضِها وانقيادِها لاستعمالِها والانتفاع مِنْهُ، بمعنى أنَّه تعالى جعلَ مهانتَها لِلإنْسانِ في جِبِلَّتِها بِحَيْثُ لا تُقْدِمُ عَلى مُدافَعَةِ ما يُريدُ مِنْها، فمع أنَّه يدفع بعضُها بعضًا عن نفسِه، وتدافع عن نفسِها بقوَّة من أمثالِها لكنَّ الله تعالى ذلَّلها للإنسان، فإذا زجرَها، أَو أَمَرَها؛ ذَلَّتْ لَهُ، وانقادت مَعَ كَراهيَّتِها ما يُريدُهُ مِنْها، حَتّى يَقودَ الصَّبيُّ الجَمَلَ العَظيمَ، ويَضْرِبَهُ، ويَصْرِفَهُ كَيْفَ شاءَ لا يَخْرُجُ مِنْ طاعَتِه، فلا تستعصي على الإنسان ما يُريدُهُ مِن سَيرٍ أَو حَملٍ أَو حَلبٍ، أَو أَخذِ نَسلٍ أَو ذَبحٍ، فيكون تسخيرها وانقيادها منَّةً عظيمةً أخرى تضاف إلى منَّة تمليكِها لهم وتمكينِهم من التَّصرُّف بها، وإلّا فمَن كان يقدر عليها لولا تذليلُهُ تعالى وتسخيره إيّاها لهم، ولولا ذلك؛ لما أطاقوها لِقواها وعظم أجسامِها، ولهذا ألزم اللّهُ سبحانه الرّاكب أن يَشْكُر هذه النِّعمة، ويُسَبِّح بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: 13][2]، فيكون العطف في قوله: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ على معنى التَّأسيس لنعمةٍ على حيالِها، وليس على معنى التَّأكيد والتَّقرير[3]، والتَّأسيس في مقامِ تكثير النِّعَمِ الموجب إلى المبادرةِ إلى الشُّكر أبلغُ في المعنى.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (ذلَّ).
(2) النّسفي، التيسير في التفسير: 12/ 379، والزمخشري، الكشاف: 4/ 28.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 178، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 69.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة الماضي:

جاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي في قوله: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾؛ ليكونَ على وزانِ ﴿خَلَقْنَا﴾، وليُفيدَ أنَّ تذليلَها للأنام مقترنٌ بخلقِها، فهو من طبعِها وخِلقَتِها، فيكون تذليلُها وصفًا ملازمًا لها، فيفيد التَّعبير بالماضي معنى الثُّبوتِ، فإنَّه وإن دلَّ على الوقوعِ في الماضي، ولكن لا دلالةَ له على الانقطاعِ؛ لأنَّ تذليلَها للإنسانِ صار بِطَبْعِها.

تذليلُ الأنعامِ للأنام مقترنٌ بخلقِها؛ إذ هو مِن طبعِها وجبلَّتِها

دِلالةُ صيغة (فعَّل):

عُبِّرَ بصيغَةِ (فعّل)، وهي دالَّةٌ على التَّكثير في قوله: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾؛ لإرادةِ المبالغةِ في إثباتِ تذليل اللّه تعالى للأنعامِ وتسخيرِها وانقيادِها للإنسانِ، كما أنَّ في الصّيغة تكثيرًا للمِنَّة وتفخيمًا وتعظيمًا لها.

تَكْثيرُ منَّةِ الله تعالى وتَفْخيمُها

نُكتةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ دون المصدر:

عُدِلَ عن أن يقالَ: (وإذلالُها لهم)، إلى قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾؛ لأنَّه لو قيل: (إذلالها)؛ لأفادَ أنَّ الأنعام لا تنقادُ بطبعِها، وأنَّها ذُلِّلَتْ على غير إرادتِها، وهو خلافُ المقصودِ؛ لأنَّه تعالى هو الذي خلقَها مذلَّلةً بطبعِها منقادةً مسخَّرةً للإنسان، فلا يكون منها إلّا الانقياد.

الأنعامُ لا يكون منها إلّا الانقياد

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لَهُمْ﴾:

اللّامُ في ﴿لَهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ تدلُّ على الاختصاصِ المقرونِ بمعنى النَّفع، أي: إنَّ تذليلَها مختصٌّ بالنّاس، ولذا لا نرى فيها تسخيرًا وانقيادًا فيما بينها أو مع سائرِ الحيوان، وهذا مِن لطائف بلاغة القرآن.

تذليلُ الأنعام مختصٌّ بالإنسان

دلالةُ الضَّمير في قولِه: ﴿لَهُمْ﴾:

يعود الضَّمير (هُمْ) في قولِه: ﴿لَهُمْ﴾ إلى ما عاد إليه الضَّمير في قولِه: ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾، بما اتَّصف به من كونِهم مالكين للأنعام،

تَذليلُ الأنعام نعمةٌ مستقلَّة عن تصرُّفِهم فيها

أي: ذلَّلنا الأنعام للَّذين مَلكوها، فتكون إعادةُ الضَّمير في قولِه: ﴿لَهُمْ﴾ إلى ما قبلَهُ بما اتَّصف به تقريرًا لكونِ التَّذليل نعمةً عظيمةً أخرى تُضاف إلى نِعمةِ تصرُّفِهم في الأنعام.

دلالةُ الفاءِ في قوله: ﴿فَمِنْهَا﴾:

من صورِ تذليلِ الأنعام ركوبُها وأكلُ لحمِها والانتفاعُ منها

الفاءُ في قوله: ﴿فَمِنْهَا﴾ للتَّفريع على تذليلِ الله تعالى الأنعام للنّاس، ففيها تفصيلُ الإجمال في قوله: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾، ولتفريع أحكام التَّذليلِ عليهِ وتفصيلها، والمعنى: فبعضٌ منها للرُّكوب، وبعضٌ منها يأكلون لحمَهُ، ففي التَّفريع والتَّفصيل بيانٌ لمنفعة التَّذليل؛ إذ لولا التَّذليلُ لَما وُجدت واحدةٌ مِنَ المَنْفَعَتين، ولَكانت منفعةُ الأكلِ قليلةَ الوجود[1].

دلالةُ (مِنْ) بين التَّبعيض والابتداء:

الأكلُ مِن جميعِ الأنعام، والرُّكوب للإبلِ خاصَّة

(مِنْ) في قول الله تعالى: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ - في موضِعَيْها - يجوزُ أن تكونَ للتَّبعيض، بمعنى: أنَّ بعضَها مركوبٌ لهم، وبعضَها يأكلونَ مِن لَحمِهِ، ويحتمل أن تكونَ (مِنْ) ابتدائيَّة[2]، والمعنى: أنَّ منشأَ الرُّكوب والأكل حاصلٌ منها، فمنها يبتدئُ، ويكونُ.

والظّاهر أن تكونَ الأولى للتَّبعيض والأخرى للابتداءِ، وهو المناسبُ للمعنى والسّياق، والمعنى: أنَّ بعضَها مركوبٌ لهم؛ لأنَّ الإبلَ مِنَ الأنعام هي التي تُركَبُ، ومنشأ أَكْلِهم منها كلِّها؛ لأنَّ جميعَ الأنعامِ ممّا يُؤكَلُ لحمُهُ، وليس فيها شيءٌ مستثنًى مِن هذا الأصلِ، فيكون المرادُ مِنَ المركوبِ أفرادَ الأنعامِ الَّتي من شأنِها أن تُركَبَ، وهي الإبلُ، والمرادُ مِن المأكول أجزاءُ تلك الأنعامِ كلِّها؛ لأنَّ جميعَ أجزائِها تُؤكَل، فناسبَ أن تكونَ الأولى للتَّبعيض والأخرى للابتداءِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 306.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 190.

دلالةُ التَّقديمِ والتَّأخير:

قُدِّمَ المسندُ على المسندِ إليهِ في قولِه: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾؛ للاهتمامِ بالمقدَّم، وذلك لتوجيهِ المخاطَبين إلى تنوُّعِ الإنْعام بالأَنْعام، فبعضُها مركوبٌ، وبعضُها مأكولٌ.

تنوُّعُ الإنْعامِ بالأَنْعام

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة (فعول) في: ﴿رَكُوبُهُمْ﴾:

لمّا كان ﴿رَكُوبُهُمْ﴾ مصدرًا بمعنى: مركوب، كان على معنى اسم المفعول، فهو فَعولٌ بمعنى مفعول، مثل (حَلوب) بمعنى (مَحلوب)، ونكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المصدرِ المبالغةُ في ظهورِ نعمةِ تذليلِها بالرُّكوب، وللإشْعار بنعمة الحمل عليها عندَ الرُّكوب.

تذكيرُ النّاسِ بنعمة المركوبِ العامِّ نفعُه الكثيرِ استعمالُه

والمرادُ بالمركوب مِنَ الأنعامِ الإبلُ؛ لأنَّها أعظمُ مركوباتِهم؛ لعموم منافعها ولكثرتها[1].

سببُ إعادةِ الجارِّ والمجرور:

أُعيدَ الجارُّ والمجرورُ في قوله: (مِنها)؛ للإشعار باستقلال كلٍّ من النِّعمتين بنفسه[2]، فنعمةُ الرُّكوب غيرُ نعمة الأكل منها، وفي إعادة الجارِّ أيضًا تكثيرٌ للمنَّة الَّتي تستحقُّ دوام الشُّكر.

تكثيرُ المنَّة في خلق الأنعامِ

ثُمَّ إنَّه لمّا كانت دلالةُ (مِنْ) الأولى غيرَ دلالةِ (مِنْ) الأخرى؛ إذ الأولى للتَّبعيض، والأخرى للابتداء؛ ناسب ذلك إعادةَ الجارِّ؛ لئلّا يُعطفَ مع تغايُرِ المعاني من غير قرينَةٍ دالَّةٍ.

سببُ العدولِ عن التَّعبير بالاسم إلى الفعل:

لمّا قال تعالى: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾؛ كان الظّاهر أن يكونَ قَسيمُه على وزانِه في التَّعبير بالاسْم، فيرد في النَّظم القرآنيِّ: (ومنها أَكْلُهم)، لكنْ عُدِلَ عن هذا إلى قولِه: ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ بصيغة الفعل المضارعِ؛ لأنَّ الأكلَ عامٌّ في الأنعامِ جميعِها، والأكل منها كثيرٌ سهلٌ

براعةُ النَّظمِ القرآنيِّ في التَّصرُّف بالألفاظِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 173.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 173.

مستمرٌّ متجدِّدٌ حالًا فحالًا في جميع الأوقاتِ والأزمانِ، فيتناول الأكل من ذاتِ لحومها، والأكل من أثمانِها وأثمانِ ألبانِها وغيرها؛ إذا باعوها، بخلاف الرُّكوب، فإنَّ صلاحَهُ لذلك ثابتٌ دائمٌ، كما أنَّ في تنويعِ الأسلوبِ رعايةً للفاصلة ومناسبةً لرؤوس الآي[1].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 173، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 50، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 387.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»